مجلة المجمع العلمي العربي

الجزء ٩ ايلول سنة ١٩٢٢ م الموافق محرم سنة ١٣٤٠ هـ المجلد ٢

شمبوليون والآثار المصرية

(١) الحفلة

في العاشر من تموز الماضي كانت باريس محط رحال علماء المشرقيات لاحتفال الجمعية العلمية الآسوية فيها بمرور مائة سنة على حل العلامة شمبوليون لحروف الكتابة الهيروغليفية التي سهلت للعلماء سبل التحقيق عن الآثار المصرية الكثيرة النفيسة المثبتة لتاريخها الصحيح. فرسمت تلك السطور التي قرأها محفورة بصورتها الأولى على اوراق الدعوات التي وزعتها إدارة متحف اللوفر على المدعوين. وانتشرت الدعوات في جميع الاقطار.

http://Archivebeta.Sakhrit.com

فكانت الوفود كثيرة من معظم الامم فاجتمع هناك من العلماء والادباء الانكليزي والاميركي والايطالي والاسباني والهولندي والتونسي والمصري وشاركت حكومة فرنسة جمعياتها العلمية فتصدر رئيس الجمهورية بالحفلة في قصر الصوربون وإلى جانبه وزير المعارف ثم أرباب الرتب وكان الحاضرون نحو عشرة آلاف فخطب المسيو دستورنيل دي كونستان مدير المتاحف الوطنية والمسيو سينار رئيس الجمعية الآسيوية والمسيو بنديت مراقب متحف الآثار المصرية. ورفع المسيو بيرار الستار عن حجر من الرخام نقش عليه ذلك الاكتشاف المفيد. ثم اختتمت الحفلات باجتماع عام في أحد الفنادق الفخمة على ضفة السين. وارفض المجتمعون يرددون ذكرى ذلك العلامة الشهير الذي أفاد علم الآثار باكتشافه ونال التاريخ منه أوفى نصيب. وعزمت الحكومة المصرية

على اقامة اثرله في مصر تخليداً لمأثرته التي خدم بها ذلك القطر ولغة الفراعنة وعلى ذكر هذا العيد المئوي نورد لمعة عن الجمعية الآسوية والمكتشف وطريقة اكتشافه الكتابة المصرية مهنئين الجمعية الآسوية الموما اليها وحكومة فرنسا الفخمة بهذا العيد الذي أبقى لها فيه المكتشف اطيب ذكر لايمحى اثره .

(٢) الجمعية الآسوية الفرنسية

أنشأها في باريس العلامة سلفستردي ساسي S. de Sacy مع بعض تـــلامذته وأصدقائه سنة ١٨٢٢ فبثت روح حب الشرقيات في نفوس الاوربيين فحذوا حذوها وانشأت علماء جهابذة ومجلة مشهورة ملأتها بالمباحث المفيدة المتعلقة بالشرق وآدابه بلغت مائتي مجلد حتى الآن وكلها باقلام اعلام العلماء فكان للغة العربية نصيب وافر منها فتنبهت الخواطر إلى البحث عن نفائس المؤلفات الشرقية وطبعها وأرسلت البعثات للحفريات الاثرية . ولقد اشتهر ممن نبغوا في هذه الجمعية علماء أعلام منهم في فرنسة كوسين دي برسفال وسديليو وجوبير ورينو وفرجه ورينان وكاترمير واشباههم ممن لهم في خدمة المشرقيات افخر ذكر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٣) الهيروغليفية

إن اللغة الهيروغليفية Hiéroglyphe هي لغة كهنة المصريين المقدسة التي اخفوا حل رموزها عن الشعب وحصروه بهم وكان المصريون القدماء قد بلغوا منتهى الحضارة من نحو أربعة آلاف سنة قبل الميلاد واشتهرت آثارهم وكتاباتهم ثم انقرضت لغتهم هذه فخلفتها القبطية وشاعت على عهد الدولة الرومانية فالقبطية بالنسبة إلى الهيروغليفية كالفرنسية أو الايطالية بالنسبة إلى اللاتينية والحروف الهجائية الهيروغليفية أكثر من ثلاثة آلاف صورة وتسمى العامية منهـــا البربائية أو الهرمسية وهي اشكال دالة على صور موجودة وأشياء مفروضة وتكتب إما من اليمين إلى اليسار أو بالعكس وقد ترسم من الاعلى إلى الاسفل ايضاً وتقسم إلى ثلاثة اقسام حروف بسيطة وحروف مركبة وعلامات مخصصة . فالحروف البسيطة هي اشبه بحروف الهجاء العربي وعددها ستة وعشرون حرفاً بينها الحركات أيضاً . والحروف المركبة علامات ذات

مقاطع أي مخارج فهي حروف معان وحروف مبان وتنحصر في ٢٨ فصلاً . والعلامات المخصصة هي اشارات ترسم في آخر الكلمات لتخصيص معانيها فتكتب خطاً وتهمل لفظاً.

فاذا ارادوا التعبير عن القوة مثلا صوروا جثة سبع برأس انسان . وعن الانتحار رسموا رجلا يشج رأسه بفاس . وعن الامانة صوروا جثة انسان برأس كلب وعن الصدق رسموا ريشة طاووس . وعن الأبدية نقشوا دائرة . وعن البر بالوالدين صوروا كركياً . وعن العقوق بها مثلوا سمك الحيات . وعلى هذا النمط عبروا بهذه الرموز عن مقاصدهم فبقي هذا القلم مغلقاً عن الناس يتكهنون فيه ما شاء حذقهم .

(٤) حل هذه الكتابة

يروى أن أول من اشتغل بحل اللغة المصرية الاستاذ كرشر سنة ١٧٠٥ م وسار على أثره بعض العلماء إلى أن ظهر الدكتور يونغ Young الانكليزي سنة ١٨١٥ فصرف أربع سنوات في معالجة ذلك حتى اهتدى إلى شيء منه ولكنه غير كاف . فكان الذي حل رموزها كلها هو شمبوليون وإليك الخبر .

كان المسيو بوسارد المدفعي الفرنسي يحتفر خندقاً قرب ثغر رشيد سنة ١٧٩٧ م ليتحصن فيه فوجد هناك حجراً عرف بحجر رشيد وهو حكم أصدرته كهنة منفيس لتعظيم بطليموس ابيفانوس (أي الماجد) في حفلة عامة وهو مكتوب بثلاثة اقلام هي البربائي الذي مر ذكره والديموطيقي (أي المختصر الدارج المصري) واليوناني فحاول العلماء حل رموزه فلم يفلحوا حتى حلها شمبوليون .

وهو جان فرنسوا شمبوليون J. F. Champollion الذي ولد سنة ١٧٩٠ م في فيجاك Figeac الفرنسية فاتقن من اللغات الشرقية العربية والعبرانية والكلدانية والسريانية والحبشية واكب على القبطية فحذقها وعين مديراً للقسم المصري في متحف اللوفر فجاء مصر سنة ١٨٢٨ وتفقد آثارها بتدقيق فحقق ظنه في حل القلم الهيروغليفي الذي على حجر رشيد وكان قد اهتدى إليه في ١٤ أيلول سنة ١٨٢٢ بعد بحث ست سنوات صرفها في مقابلة اللغات الثلاث على الحجر ومعارضتها بادئاً بالاعلام فيها فانجلت له الحقيقة ووثق منها ووضع كتاب صرف ونحو لها ومختصر تاريخ

مصر ومعجماً للهيروغليفية اعجلته المنية عن إتمامه إذ توفي سنة ١٨٣٢ فانجزه ولده غوسطاف ففتح هذا العلامة باباً فسيحاً لدرس آثار مصر وعرف من يدرسها باسم (ايجبتولوك) Egyptologue وقام بعده نفر من العلماء بهذا العمل مثل ماريبيت باشا المتوفى سنة ١٨٨٠ مؤسس المتحف المصري ثم العلامة مسبرو مؤلف كتاب شعوب المشرق القديمة ومكتشف آثار تل العمارنة وغيره . وادخل تدريس اللغة المصرية في مدارس مصر سنة ١٨٧٠

وكان نفر من العلماء الذين درسوا اللغة القبطية من خصوم شمبوليون قد انكروا عليه ماقرره بشأن الهيروغليفية وحلها حتى إنهم لم يشاؤوا ذكره ولا قراءة مؤلفاته لحسدهم ولكن ذكره لايزال عند جميع الامم شاهداً على فضله في ماخدم به اللغة المصرية وآثارها رحمه الله عداد حسناته .

عيسى اسكندر المعلوف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فوائد لغوية

المأبض من الانسان كالأبض = باطن الركبة

الأَبَق = القنّب أو قشره الذي تعمل منه الحبال

الأربيّة = أصل الفخذ

الأُربة = العقدة أو التي لاتنحل حتى تحل وبها سمى بعض العلماء ربطة الرقبة cravate

الأوارجة = معرب آوراه بالفارسية دفتر حساب الدخل والخرج يدوّن فيه ما كان مشتتاً من حسابات الديوان ج أوارجات

الأُرفه = الحدّ بين الارضين والعلامة والعقدة ج أُرف

الإران = سرير الميت أو تابوته من خشب ج أُرن

الاصيص = اناء كنصف الجرة تزرع فيه الرياحين وتسميه العامة حوضاً

أنيس سلوم

غابر الاندلس وحاضرها

(١١) مدينة مجريط

سار بنا القطار من باريز إلى جنوبي فرنسا ماراً باراضٍ عامرة بزراعتها دالة على سلامة ذوق أهلها وتفننهم في ضروب الحياة المادية والادبية ولما اجتزنا جبال البيرنات « جبل الثنايا » دخلنا ليلا محطة إرون الاسبانية قاصدين إلى مجريط عاصمة اسبانيا الحديثة كثرت لواعج الاشواق إلى الصقع الاندلسي واشتدت تباريح الذكرى

واكثر ما يكون الشوق يوماً   إذا دنت الخيام من الخيام

تمثلت للعين تلك الامة العربية الغربية ، وما أثلته من الامجاد في هذه البلاد ، وظهرت فيه من مظاهر الحياة الراقية ، تذكرت جيلاً عظيماً . لم يبق سوى التحدث بطيب أخباره . والتطلع إلى جميل آثاره ، ذكرت عشرات الالوف من العظماء ، ضمت الاندلس اعظمهم ، وكان كل واحد أمة برأسه ومنهم من لم ينبغ أمثال لهم في أمة في القرون المتواصلة ووددت لو أمكن العمل بحكمة المعري حين قال :

خفف الوطءَ ما أظن اديم ال   أرض إلا من هذه الاجساد

وحرام بنا وإن قدم العه   د هوان الآباء والاجداد

مدينة مجريط او مدريد هي عاصمة اسبانيا منذ سنة ١٥٦٠ وسكانها اليوم يقربون من سبعمائة الف وهي العاصمة التي اختارها فيليب الثاني لتوسطها من البلاد وكانت على عهد العرب حصناً أو بليدة ولم ترزقها الطبيعة نهراً كبيراً ولا ضاحية بديعة مشجرة مثمرة بل كان قديماً في أرباضها بعض الغابات فحطمت ولم يبق منها إلا القليل . على أن فيها اليوم ما في جميع عواصم الغرب من المرافق والمصانع . زرت بعضها وهي لا تختلف عن مصانع الامم اللاتينية الا قليلاً بل هي أقل عظمة من مصانع ايطاليا وفرنسا وليس في مجريط أثر يعتد به من آثار العرب ، واما آثار الاسبانيين الحديثة فليست مما يعجب به كثيراً لانها حديثة عهد على الاغلب وتكاد تكون الصبغة الدينية متجلية في كل مصنع من مصانعهم .

واكثر احياء المدينة ضيقة وبيوتها مزدحمة كسائر المدن المنحطة في أوربا الا أن

http://Archivebeta.Sakhrit.com

بعض الاحياء والدور المستحدثة هي على الطراز الغربي الجديد ولها حدائق وساحات على جانب من السعة مستوفاة شروط الصحة . وقد انشئت في زمن الحرب العامة في مجريط وغيرها من مدن اسبانيا بيوت اقامها اغنياء الحرب أي الذين اتجروا فيها وربحوا وربحت بهم اسبانيا لحيادها وقد احسنت لنفسها بالتزامها خطة المسالمة ومن هذه البيوت مايقتضي الوفاً من الليرات . فلما أشتدت الازمة على أوربا عامة لحق اسبانيا من أثرها شيءٌ بالطبع فوقف العمل في بعض تلك البنايات وكذلك كثير من المشاريع والمعامل التي احدثوها مغتنمين فرصة تقاتل جيرانهم

في مجريط تسعون كنيسة من الكنائس التي لاشأن لها في نظر التاريخ وعلم العاديات وليس لها مقام رفيع في باب البناء الحسن . والمصانع التي من هذا القبيل ليست بالكثيرة العدد وقد قام القصر الملكي اليوم محل القصر العربي وكان هنري الرابع جعل هذا القصر محلاً للصيد . وفي متحفها الوطني بعض آثار العرب التي افلتت من أيدي الذين زهدوا فيها بصنع المتعصبين من رجال الدين وخربوها واتلفوها . أما تاريخ هذا الحصن العربي أي مجريط فليس بعظيم وخلاصته انه أخذ من العرب ثم استعادوه الى ان استولى الاسبان على طليطلة سنة ١٠٨٦ م فاصبحت مجريط يومئذٍ اسبانية وقد زادت مكانة مجريط فكبرت رقعتها في الجزء الثاني من القرن التاسع عشر وذلك لاتصالها بالخطوط الحديدية مع الولايات ومع فرنسا والبرتغال وقد انشىء فيها في العهد الاخير تراموي كهربائي Mètropolitain تحت الارض على مثال تراموي باريز ولندرا وبرلين ونيويورك .

(١٢) دير الاسكوريال

اهم ما في ضاحية مجريط دير الاسكوريال على أحد وخمسين كيلو متراً منها بناه فيليب الثاني ونجزت عمارته سنة ١٥٨٤ وعمر فيه حفيده فيليب الرابع البانتيون مدفن العظماء من آل الملوكي وقيل انه انفق على الدير خمسة عشر مليوناً ونصف مليون من البستاس اي الفرنك الاسباني

والاسكوريال كما قال عنه واصفوه من الافرنج مثال مما تعمله الارادة ومما لاتعمله

فقد قيل ان الادارة قادرة في بعض الاحوال وعاجزة عن ايجاد عمل واحد يدل على نبوغ ، وعبقرية وهذه الشعلة الالهية قد نقصت في عمل باني الدير . فمن شقائه انه نشأ في عهد لم يشتهر بقوة الايجاد ولا بسلامة الذوق فجاء بناؤه جافاً رغم ماتماوره من ايدي المهندسين لم ينمّ عن لطف ولا حوى اسباب الجمال . وغلب على البناء تصنع الملك فيليب في مظاهر أبهته وعظمته ولطالما ضيّق صدور أسرته وحاشيته منه في هذا الشأن فلم يكن لهم همّ الا ان يدهنوه . وكان من طبعه ان يتدخل فيما لايعلم حتى افسد على المهندسين عملهم او كاد وجاء العمل الذي ابقاه للاعقاب حتى يفتخروا به وليس فيه كبير أمر من جمال الهندام والنظام ، اشبه بسجن مظلم وديماس منحوت

واهم مايلفت النظر في هذا الدير دار كتبه وفيها خمسة واربعون الفاً من المجلدات حوت كثيراً من المخطوطات والنقوش والرسوم ومنها الكتاب المقدس الذي كان يقرأ فيه بعض ملوك اسبانيا في القرون الوسطى وبعضها كتب باللاتينية ومنها ماكتب بالاسبانيولية او اليونانية ومنها المزين بأجمل الرسوم ومنها المذهب المكتوب على رق . ويهمنا من هذه المكتبة مجموعة الكتب العربية وهي الفا مجلد كانت السفن الاسبانية غنمتها من مركب لاحد ملوك مراكش المتأخرين . وكان في هذا الدير قبل القرن السابع عشر نحو ثلاثة آلاف مخطوط عربي فالتهمتها النار في الحريق الذي نشب في الدير مع ما التهمت من الكتب الاخرى .

فليست الكتب العربية في خزانة الاسكوريال اسبانية المصدر كلها كما اكد لنا احد علماء الاسبان وصاحب البيت أدرى بالذي فيه اخبرني ان الاسبان غنموا هذه الكتب من سفينة كانت لاحد سلاطين الغرب الاقصى فوقعت في أيدي الاسبان وقال آخر ان اصل هذه المجموعة كانت لاحد سفراء اسبانيا لدى الباب العالي ولما غادر الاستانة اهداها للملك فوضعها في الدير الذي كان ملكاً له . لآله من بعده والرواية الأولى اصح

وقد وصف هذه الكتب باللاتينية احد رهبان الموارنة من سنة ١٧٤٩ - ١٧٥٣ وفيها ١٩٥٥ مخطوطاً رأيت نموذجات منها وقد أت وصف لآخر فيما كتبه احد علماء

المشرقيات من الفرنسيس ولا سيما القسم الذي يهمني منها .

عراني في هذا الدير ماعرا كثيرين قبلي من السويداء ثم السكون والراحة والبرودة التي تدعو إلى العزلة والتفكر والانكماش والدرس وانك لتشعر وانت تسير تحت قباب الاسكوريال العارية من التفنن والزينة بهواء بارد من حياة الاديار كما تشعر في مدارس اكسفورد وبيمها ، والنازل هنا بطبيعته يرى دافعاً من نفسه يدفعه إلى ان يشغل نفسه بشيء ، وما من ملجأ اوفق لنسيان العالم يحمل ساكنه على البحث عن الحقائق وعلى الصبر في كشف المسائل المتعذرة المبهمة المجهولة مثل هذه المعاهد .

(١٣) قرطبة والزهراء

باربعة فاقت الامصار قرطبة منهن قنطرة الوادي وجامعها
هاتان ثنتان والزهراء ثالثة والعلم اعظم شيء وهو رابعها

لم يكتب لي ان ازور مدينة طليطلة لأشهد فيها قصور العرب القديمة ومساجدها القائمة إلى اليوم وعادياتها المأثورة وكانت من عظائم مدائن الاندلس وهي من قرطبة على عشرين يوماً فاكتفيت بزيارة ثلاث مدن من أمهات المدن الاندلسية قرطبة واشبيلية وغرناطة وهي العواصم الثلاث التي تأصل فيها حكم العرب وطالت ايامه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقرطبة كانت في عزها اعظم مدائن الاندلس فاصبحت الآن وليس فيها من السكان سوى ثمانية وخمسين الف ساكن وقبل ان مساجدها بلغت الفاً وستمائة مسجد وحماماتها ستمائة وذكر آخرون انه كان فيها مائتا الف دار وثمانون الف قصر دورها ثلاثون الف ذراع وكان بخارجها ثلاثة آلاف قرية في كل واحدة منبر وفقيه مقلس[١] تكون الفتيا في الاحكام والشرائع له ، يأتون كل جمعة للصلاة مع الخليفة بقرطبة ويطالعونه باحوال بلدهم .

قال المراكشي بلغت قرطبة من القوة وكثرة العمارة وازدحام الناس مبلغاً لم تبلغه

(١) المقلس هو الذي يلبس القالس او القلنسوة وكان يحق للمقلس وحده في الاندلس ان يفتي وكان عليه ان يستظهر الموطأ والمدونة أو عشرة آلاف حديث وللمقلسين الحق ان يلبسو القالس فقط وتكتب بالصاد (قاله دوزي في ملحقه على المعجمات العربية)

بلدة . حكى ابن فياض في تاريخه في أخبار قرطبة قال كان بالربض الشرقي من قرطبة مائة وسبعون أمرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي. هذا مافي ناحية من نواحيها فكيف بجميع جهاتها وكان الماشي يستضيء بسرج قرطبة ثلثة فراسخ لاينقطع عنه الضوء.

وفي تواريخ الافرنج أن قرطبة كانت منقطعة القرين بين مدن الغرب أي أوربا وليس مايشبها بعمرانها وسكانها فكان فيها خمسمائة الف ساكن و٢٨٧ ربضاً وهي مكتظة بالسكان وقدقامت المتنزهات البهجة المغروسة بانواع الاشجار على طول الوادي الكبير والقصور والمصايف مغطاة بالخضرة وكان في هذا الوادي الكبير أربعة عشر ألف قرية .

فقرطبة كانت اعظم مدينة بالاندلس وليس بجميع المغرب « لها شبه كثرة أهل وسعة رقعة وفسحة أسواق ونظافة محال وعمارة مساجد وكثرة حمامات وفنادق » ووصفها المقدسي فقال : « وصف ماشئت من طيبها ورحبها فانها جنة الاندلس على ماحكي لي وهي مصر الاندلس وقد دلت الدلائل واتفقت الآراء على أنه مصر جليل رفيق طيب وأن ثم عدلاً ونظراً وسياسة طيبة ونعمة ظاهرة ودينا وهي في جهاد ونفير ابداً مع علم كثير وسلطان خطير وخصائص وتجارات وفوائد» وذكروا أن لاهل قرطبة رئاسة ووقاراً لاتزال سمة العلم والملك متوارثة فيهم .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليس في قرطبة اليوم من آثار العرب سوى قطعة من مسجدها الاعظم بناه عبد الرحمن الداخل وكان معبداً للو يزغوت على اسم القديس منصور وقد ملكه المسيحيون واخذ المسلمون نصفه سنة ٧٨٥ م ولما شرع بالبناء ابتاع عبد الرحمن النصف الآخر منهم كما فعل الوليد الأموي في دمشق يوم بنى جامعها واستصفى النصف الآخر من أربابه المسيحيين وعوضهم عنه كنائس أخرى .

وزاد الناصر عبد الرحمن بن محمد في المسجد الجامع بقرطبة زيادته المشهورة وفيها القبو الكبير الذي يصطف المؤذنون أمامه يوم الجمعة للآذان وهو من اعجب البنيان .

وحبس المستنصر بالله على الجامع بقرطبة لما كملت زيادته ربع جميع ماجرته إليه الوراثة عن أبيه امير المؤمنين في جميع كور الاندلس واقاليمها على ثغور الاندلس كافة تفرق غلات هذه الضياع عاماً بعد عام على ضعفائهم إلا أن تكون بقرطبة مجاعة فتفرق فيهم .

ومما قيل في آثار مدينه قرطبة وعظمها حين تكامل أمرها في مدة بني أمية أن عدة الدور التي بداخلها للرعية دون الوزراء واكابر أهل الخدمة مائة الف دار وثلاثة عشر الف دار ومساجدها ثلاثة آلاف وعدة الدور التي بقصرها الزهراء أربعمائة دار وذلك لسكنى السلطان وحاشيته وأهل بيته .

وقالوا إن المسلمين لما فتحوا قرطبة وجدوا بها آثار قنطرة فوق نهرها على حنايا وثاق الاركان من تأسيس الامم الدائرة قد هدمها مرور النهر على مر الازمان فتقدم إلى فضيلة النظر فيها عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عندما اتصل به خبرها فأمر السمح بابتنائها فصنعت على اتم وأعظم مابني عليه جسر من حجارة سور المدينة . وربما كان هذا أول عمل في العمران قام على ايدي عرب الاندلس في القرن الاول للهجرة .

قال بعضهم لم يكن للعرب هندسة خاصة لما دخلوا قرطبة وكانوا يعتمدون على هندسة أهل البلاد التي تغلبوا عليها فنسجوا في بناء المسجد على مثال مساجد مصر ومسجد القيروان وكان هذا من اعظم مساجد الاسلام وقيل إنه بني على شكل مسجد دمشق وكان فيه ١٤١٨ سارية تشبه غابة ملتفة والباقي منها الآن ٨٦٠ وهي أدق من سواري الجامع الاموي اليوم وقال آخر إن الباني وأخلافه جلبوا هذه السواري من ابنية قديمة وبيع مسيحية في القاصية كجنوبي فرنسا وأفريقية أي قرطاجنة والاستانه وتبين أن اكثرها من مقالع اندلسية ومحراب هذا المسجد الجامع لايزال محفوظاً وهو دهشة إلي اليوم وإلى مابعد اليوم وعلو قبته تسعة امتار حفر في قطعة واحدة من المرمر وعمل بالفسيفساء وزبرت عليه آيات كريمة . وله اثنان وعشرون باباً معمولاً بالنحاس بقي الآن منها ١٢ باباً وعلى بعضها صورة نقوشها الاصلية وقد قام البرج الذي هناك مقام المنارة التي انشأها عبد الرحمن الناصر . يقول جوسيه لو اقيمت البيعة التي اقاموها وسط الجامع على عهد شارلكان في مكان آخر لصار لها شأن وهي هنا من ابشع آثار الهندسة إذ احدث بانوها بها ضرراً على بناء وحيد من نوعه في العالم .

وكان في جامع قرطبة سبعة آلاف مصباح تنعكس انوارها على النقوش المذهبة والزمرد والياقوت والفصص وغيرها فتزيد في جماله وعلى ما أصيب به هذا المسجد من الاضرار بقي إلى اليوم من اغرب ابنية الارض

قال غوتيه : لا سبيل إلى وصف التأثر الذي يشعر به المرء عند دخوله هذا المسجد الاسلامي القديم فيتراءى لك أنك تسير في غابة مسقوفة لا في بناء مصنوع وحيث اتجهت يضيع بصرك في صفوف من السواري تلتقي وتمتد على مرمى البصر مثل غراس من المرمر ظهرت من تلقاء نفسها على اديم الارض اهـ .

نعم إن البيعة التي أقيمت وسط جامع قرطبة والبيع الصغرى التي جعلت في أكثر زواياه قد شوهت من محاسنه وابدلته عن أصله وفي نية ديوان الآثار فيما بلغني أن يرجع القديم كما كان وينقل الآثار المسيحية من جامع قرطبة ليبقى بدون زيادة ولا نقصان طرازاً في البناء منقطع القرين في الارضين الا أن البيعة الوسطى بيعة شارلكان يصعب نقل انقاضها لما فيها من الزخرف ولما صرف عليها من المال .

هذا مابقي من آثار الاجداد في قرطبة وقد زرتها وارباضها فرأيتها وهي على منبسط من الارض تشبه ضاحيتها ضواحي دمشق وهندسة أكثر بيوتها الجديدة على الطراز العربي البديع ولأهلها إلى هذا العهد حرمة له وغرام به وحرص عليه يعدونه من جملة مقدساتهم . وعلى أربعة أميال من قرطبة بنيت مدينة الزهراء سنة ٣٢٥ هـ بناها الناصر لدين الله الأموي في ست عشرة سنة وطولها الف وستمائة ذراع وعرضها الف وسبعون ذراعاً وجعل في سورها ثلثمائة برج وخص ثلثها قصوراً للخلافة وثلثها للخدم وثلثها بساتين وكان يدخل فيه كل يوم من الحجر المنحوت ستة آلاف صخرة سوى الآجر وغيره وحمل اليها الرخام من اقطار الغرب ودخل فيها أربعة آلاف وثلثمائة سارية وأهدى ملك الفرنج لبانيها أربعين سارية رخام واما الوردي والاخضر فمن إفريقية والحوض المذهب جلب من قسطنطينية والحوض الصغير عليه صورة اسد وصورة غزال وصورة عقاب وصورة ثعبان وغير ذلك والكل بالذهب المرصع بالجوهر وكان ينفق عليها ثلث دخل الاندلس وكان دخلها يومئذ خمسة آلاف الف وأربعمائة الف وثمانين الف درهم

وقال أحد المؤرخين إن مباني قصر الزهراء اشتملت على أربعة آلاف سارية جلبت من رومية وقسطنطينية وقرطاجنة وتونس وأفريقية فيها خمسة عشر الف باب ملبس بالحديد والنحاس المموه وكان عدد الفتيان فيها ثلاثة عشر الف فتى وسبعمائة

وخمسين فتى وعدد النساء بقصر الزهراء ستة آلاف وثلثمائة امرأة وأربع عشرة امرأة وكان على الحجر الذي جلب من مقالع الاندلس أو حمل من القاصية نقوش وتماثيل وصور على صور الانسان ولما جلبه أحمد الفيلسوف وقبل غيره أمر الناصر بنصبه في وسط المجلس الشرقي المعروف بالمؤنس ونصب عليه اثني عشر تمثالاً . وقال بعضهم عمل في الزهراء عشرة آلاف عامل خمساً وعشرين سنة. وفي الشرق من الوادي الكبير مدينة الزاهرة التي بناها المنصور بن أبي عامر التي يقول فيها ابن عربي لما دخلها ووجدها متهدمة :

ديار باكناف الملاعب تلمع ... وما ان بها من ساكن فهي بلقع
ينوح عليها الطير من كل جانب ... فتصمت أحياناً وحيناً ترجع
فخاطبت منها طائراً متفرداً ... له شجن في القلب وهو مروع
فقلت على ماذا تنوح وتشتكي ... فقال على دهر مضى ليس يرجع

وقد حرقت الزهراء وهدمت في حدود سنة ٤٠٠ هـ وبقيت رسومها وخربت قرطبة وما فيها من القصور والمرافق في حرب البربر وسقطت قرطبة في أيدي العدو سنة ٦٣٣ هـ بعد أن كانت مدة خمسة قرون وخمس قرن في أيدي العرب ولم يعد حكمهم اليها بعد ذلك ولما خلت قرطبة من سلطان يرجع إلى أمره صار كل من قويت يده عمر مدينة فخربت قرطبة وعمرت اشبيلية .

(الباقي يتبع)

محمد كرد علي

★ ★ ★

عثرات الاقلام

٩

ومن عثرات الاقلام قولهم (وقد تهافتوا لمساعدة المنكوبين) صوابه على مساعدة المنكوبين لان معنى تهافتوا تساقطوا وتتابعوا على أن التهافت أكثر مايستعمل في الشرور. فالاولى أن يقال تسابقوا أو تباروا أو تزاحموا على مساعدة المنكوبين .

ومنها (هربوا باموالهم خشية أن تطولها أيدي الثوار) صوابه تناولها أو تتناولها أيدي الثوار أما (تطولها) فلا معنى لها هنا إذ يقال طال زيد عمراً إذا علاه وترفع عليه .

ومنها قولهم (كالحلي وغيرها من الأشياء القيمة) يريدون بالقيمة الثمينة ذات القيمة والقيمة بتشديد الياء لاتفيد هذا المعنى لانها مؤنث قيم وهو القائم على الامر المدبر له ومن معانيها ايضاً المستقيم كما في الآية الكريمة (فيها كتب قيمة) أي مستقيمة تبين الحق من الباطل فالصواب أن يقال (الاشياء ذات القيمة أو الثمينة) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومنها قولهم (وقد القت الحكومة القبض على فلان) صوابه قبضت عليه أو ضبطته أو أمسكته

ومنها (نفوس القوم تسممت بعداوة حكومتهم) لم يرد فعل (تسمم) في اللغة وإنما الوارد سم (ثلاثياً) فيقال نفوسهم سمت بعداوة حكومتهم . على أن الافضل أن يقال (اشربت قلوبهم عداوة حكومتهم) أو (خامرت عداوتها قلوبهم) .

ومنها (وقد أودعوا أموالهم في مصارف الحكومة) الصواب حذف (في) لان أودع يتعدى إلى مفعوليه بنفسه . وينبغي تقديم كلمة (مصارف) لانها التي تقبل الوديعة كما يقدم (زيد) في قولك (أودعت زيداً مالي) فيقال (أودعوا مصارف الحكومة أموالهم) .

ومنها (حكمت عليهم المحكمة بالأعدم) . (الإعدام) إذا اطلق كان معناه الفقر فالاظهر أن يقال حكمت عليهم المحكمة باعدام الحياة أو حكمت عليهم بالموت أو بالقتل وهو الاصوب .

ومنها (صوّت القوم لفلان) أي انتخبوه واختاروه (نظموا مضابط التصويت) اي الانتخاب والاختيار وقد يقولون (اعطى فلان رأيه لفلان) (وجمعوا الآراء) كما يقولون (جمعوا الاصوات) وكل هذا مراعى فيه الاستعمال الاعجمي فالصواب ان يقال انتخبوا فلاناً أواختاروه ونظموا مضابط الانتخاب أو الاختيار وحاز فلان عشرين انتخابة بدلاً من ان يقال عشرين صوتاً .

ومنها قولهم (لم يبق لهم طاقة على القتال) صوابه (طاقة بالقتال) ومنه الآية الكريمة (لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) وآية (ولا تحملنا مالا طاقة لنا به) أما (على) فتستعمل مع القدرة يقال (ليس لهم قدرة) على القتال .

ومنها قولهم (كرّس فلان أيام حياته لكذا) (أو كرّس نفسه لكذا) الاصوب ان يقال وقفها على كذا أو خصّصها لكذا .

ومنها قولهم (انفقوا اموالهم على اشادة القبور) صوابه تشييد أو بناء اما الإشادة فلها معان اخر اشهرها رفع الصوت بالثناء على الشخص أو التنديد به . .

ومنها قولهم (ليس لهم موارد سوى من هذه الصناعة) و (لا سبب يحملهم على ذلك سوى لانهم متكبرون) الصواب ان يقال (سوى هذه الصناعة) بحذف (من) و (سوى انهم متكبرون) بحذف اللام لانه لايجوز فصل المضاف عن المضاف اليه بمثل هذا .

ومنها قولهم (تداولوا في الامر) . (تداولوا الشيء) أخذ هذا مرة وهذا مرة فالأولى ان يقال تذاكروا في الامر أو تباحثوا فيه .

فوائد لغوية

الأصف = شجر الكبر وتسميه العامة بالكبّار والقبّار

الأسرب = الرصاص . أو الرصاص الأسود الرديء وبه عرّب بعض العلماء المتأخرين لفظة plombagine ومعناها الرصاص الذي تعمل منه الاقلام .

الأنَب = الباذنجان ومثله الكَهكَب .

بحث انتقادي

في

مختصر في تاريخ سورية

تأليف الاب هنري لامنس اليسوعي طبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٢١ مجلدان من قطع الوسط في ٥٥٦ صفحة .

H. Lammens, S. J. : La Syrie précis historique – Beyrouth, Imprimerie Catholique, 1921; 2 vol. in-8, 556 pages.

هذا آخر ما خطته أنامل صديقنا الاب لامنس باللغة الافرنسية في التاريخ بعد ان نشر بها أبحاثاً في بعض خلفاء الامويين في الشام ونشر بالعربية كتاب تسريح الأبصار في مايحتوي لبنان من الآثار إلى غير ذلك من الكتب الجيدة والأبحاث المفيدة .

وقد قسم تاريخه هذا أدواراً وقسم كل دور إلى أبواب وفصول ونسقه تنسيقاً جيداً بحيث يعثر الطالب فيه من ايسر سبيل على المادة التي يريدها والعصر الذي ينوي الوقوف على أهم حوادثه . وكتابه هذا مختصر للمدارس مكتوب بأسلوب رشيق وفي آخر كل صفحة المصادر التي يعزى اليها القول .

الكلام في هذا الوجيز على تاريخ الشام قبل الاسلام مختصر للغاية اما الكلام على عهد الاسلام فقد تصرف فيه المؤلف حسب الاحوال فتوسع في أماكن حتى كاد يدخل كتابه في عداد المطولات واقتضب في أخرى حتى أوشك أن يخرج مصنّفه عن موضوعه ويخل بتسلسل حوادثه .

استعمل المؤلف حريته في نقد الحوادث على أسلوب بعض المؤرخين المعاصرين ولكنه لم يكن إلى جانب الصواب في كل ما انتقد وعلق . ومثله، على تمكنه من التاريخ، لا يصعب عليه أن يورد حقائق تلقح عقل الطالب فكراً جديداً من تاريخ صحيح بريء من مؤثرات المعتقدات وتصورات المخالفات . فيكون شأنه في الكتابة على العرب شأن

رجل خالي الغرض يكتب تاريخ الحروب الدينية في اوربا مثلا فلا يتحزب للبرتستانت المجددين ولا ينحي على الكاثوليك البابويين بل يكتب الكوائن مجرداً عن الغاية فينال كلامه القبول من كل القلوب .

أما وتاريخه ستتناوله أيدي الطلاب فالأولى أن يجرد مما ينافي الحقائق ولذا فانا نستميح حضرة المؤلف بايراد بعض ملاحظات على تاريخه عسى أن يصلح في طبعة ثانية ما يوافقنا عليه حتى يكون كتابه تاماً من كل وجه متصفاً بالاوصاف المطلوبة في التاريخ فقد قال مونتسكيو في روح الشرائع : ان المؤرخين في الحكومات الملكية المطلقة المتناهية في اطلاقها يكذبون لأنه ليس لهم حرية حتى يقولوا الحق اما في الدول الملكية المفرطة في حريتها فانهم يخونون الحق بسبب حريتهم نفسها التي توجد أبداً التفرقة فيصبح كل واحد منهم عبد أوهام حزبه كما كان لو عاش في ظل مستبد ظالم اه .

فمما لاحظناه ان المؤلف يأتي بجمل ينتزعها من عبارات بعض المحترمين من الخلفاء والسلاطين والفاتحين وغيرهم قيلت في أحوال خاصة لا تدرك على جليتها إلا إذا ذكرت العبارة مع سياقها وسباقها فيأتي المؤلف بجملة من المقول بالعربية ويترجمها بالافرنسية ويستخرج منها موضوعاً قد يكون سنة على قائلها ويستنتج من ذلك انها كانت دستوراً جرى العمل عليه مثل قوله (ج ١ ص ٦٠ و ٦١ و ٦٢) أخذاً عن الطبري من كلام عمر بن الخطاب « أخرب الله مصر في عمران المدينة وصلاحها » وعبارة الطبري لا يفهم منها كما ترى أن عمر أمر بخراب مصر ليعمر المدينة وهذا نص عبارته :

«وجاء كتاب عمرو بن العاص جواب كتاب عمر في الاستغاثة إن البحر الشامي حفر لمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حفيراً فصب في بحر العرب فسده الروم والقبط فان أحببت أن يقوم سعر الطعام بالمدينة كسعره بمصر حفرت له نهراً وبنيت له قناطر فكتب له عمر أن افعل وعجل ذلك فقال له أهل مصر : خراجك زاج وأميرك راض وان تم هذا انكسر الخراج فكتب إلى عمر بذلك وذكران فيه انكسار خراج مصر وخرابها فكتب اليه عمر اعمل فيه وعجل أخرب الله مصر في عمران المدينة وصلاحها فعالجه عمرو وهو بالقلزم فكان سعر المدينة كسعر مصر ولم يزد ذلك مصر الا رخاء ولم ير أهل المدينة بعد الرمادة مثلها حتى حبس عنهم البحر . »

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهكذا نسب اموراً للخليفة الثاني لايوافقه عليها التاريخ الصحيح ولكن المؤلف غريب في تسامحه واحكامه يحسن ظنه بيزيد وابيه وينسب العجز الاداري لابن الخطاب (٥٩) فقد قال ان يوم الجابية افلست سياسته وان فتح الشام لم يكن بناءً على خطة مرسومة بل يراد به غزو بلاد مفتحة الابواب ليس فيها شيء من أسباب الدفاع! وإحداث مشغلة للعرب ثم ادّعى ان العربي اثبت انه جبان ضعيف في الجندية لايفكر في غير المغانم وقال انه ظهر البدو «٢٢٧ م ٢» كما كانوا على عهد الرسول انهم وسط في الجندية مستعدون للنهب يحجمون أمام الخطر. ولعمري ان جندياً هذه صفته كيف يستطيع أن يظفر بالجندي المدرب المهذب التقي من جنود الروم وباقراره ان جيش الروم يوم اليرموك كان ثلاثين ألفاً وجيش العرب خمسة وعشرين مع ان الثقات يقولون ان جيشهم كان أكثر من ذلك فقد قال البلاذري ان المسلمين يوم اليرموك كانوا ٢٤ ألفاً قتلوا من الروم ٧٠ ألفاً ومع ذلك علم حضرته ما كان من أمر اليرموك ومن تفاشل ذاك الجيش العجيب بكل صفاته أمام الجيش العربي الجبان الضعيف في أصول الكر والفر البعيد عن كل تصور إلا المغانم وكذلك كان حاله يوم فحل واجنادين وغيرهما من الوقائع التي انتهت بتغلب الجبان على الشجاع.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقوله ان العرب «ص ٦٢ م ١» تركوا للوطنيين محاكمهم ولسانهم ونظاماتهم البلدية وتقسيماتهم الادارية وابقوا في البلاد من لم يستطع من قدماء الموظفين ان يلحق بالروم وعلق على هذا العمل حاشية في آخر الصفحة معناها أن العرب لم يقدروا ان يستعيضوا عن هؤلاء الموظفين فهذا اذاً عجز منهم لا تسامح.

وتوسع في كلامه على النصارى (٧٠) الذين دخلوا في خدمة معاوية ومنهم ابن أثال الطبيب الذي كان يتولى خراج حمص ولم يقل لنا السبب الذي كان لأجله يستعمل ابن أثال الذي كان يدس السم لكبار الأمة حتى مات في زمانه كثير من أعيانها منهم عبد الرحمن بن خالد عامل حمص فكافأه معاوية بان ولاه خراجها فقوله اذاً ان معاوية (٧٢) اختار استمالة خصومه لا إهلاكهم بصورة وحشية كما فعل العباسيون مسألة لا تصح على اطلاقها. ودعواه أن مؤرخي العباسيين كانوا يكتبون بلسان رسمي تحت ضغط الملوك فيه ما يقال ولا نذكر اننا رأينا مؤرخاً ثقةً أثبت أن العباسيين كانوا

يضغطون على المؤرخين ليكتبوا لهم على الامويين مايحبون بل على العكس شاهدناهم يذكرون كل امرىء مقروناً بعمله والا ففي أي عصر كان محدث الامة ابن جرير الطبري الذي كتب الحسنات والسيئات وبلغ في التجويد بذلك إلى الغاية التي ليس وراءها غاية . فاذا زعم الناقد ان المؤرخين في العهد العباسي توخوا ارضاء الخلفاء فيما كتبوا فلماذا لم يكونوا يتوخون ارضاء الخلفاء من بني العباس في حياتهم بالكف عن اجدادهم وآبائهم فيوردون الفظائع التي اجترحوها غير متعتعين ولا مجمجمين. ودعوى المؤلف «ص ٩٥» ان منشأ مذهب القدرية الذين استعملوا حرية النظر في الاسلام وكثروا في الشام واشتد نفوذهم كان من اختلاطهم بالمسيحيين مستدلاً على ذلك بان المسلمين كانوا يختلفون إلى رؤساء النصارى بدمشق ويناقشونهم في هذه المسائل هذه الدعوى غير حقيقية .

وقد رأينا صاحبنا يحرص جد الحرص على نسبة كل شيء إلى سكان البلاد الاصليين وقد كرر غير مرة أن عالم قريش خالد بن يزيد الأموي تلميذ راهب ولم يقل كلمة واحدة فيما افضل فيه هذا التلميذ على الآداب العربية وكيف كان أول من ترجمت له العلوم من السريانية واليونانية والقبطية في دمشق وما هي منزلته من الخلفاء وهو عالم الامويين ومحدثهم ومستشارهم وشاعرهم ونظن عمل خالد بن يزيد هذا من التطورات المهمة في تاريخ الامة التي تستحق ان يشار اليها ولو بسطر واحد اكثر من اخذه عن راهب علماً — علم الكيمياء — لم يكن له معرفة به او غير ذلك من الاشياء التي وردت في عرض الكتاب وغيرها احق بالذكر منها .

ومما قاله في شيخ الاسلام ابن تيمية (ج ٢ ص ٢٧) انه صاحب المذهب الارتجاعي Ecole réactionnaire وان عمله مختل وانه كان لايفترعــــن مقاتلة البدع وقضى حياته يسوق ابناء دينه في سبيل التعصب ونقل ما عزي إلى ابن بطوطة الرحالة من ان ابن تيمية كان مختل الشعور وعلل هذا بانه قضى من اجل ذلك معظم حياته في السجن وفي الجدال بالقلم واللسان وليت شعري كيف يعتمد قول عابر سبيل ربما لم يختلط بغير السوقة او ببعض المخالفين لابن تيمية ضاعت منه اوراق سياحته فكتبها له آخر — ابن جزي — وهو في بلده من ذهنه وحشاها الغث والسمين

ولايحكم على ابن تيمية بكتبه وما قاله كبار علماء الامة من معاصريه وغيرهم فيه .وإذا كان ابن تيمية الذي اراد ارجاع الدين إلى نضرته وعمل في الاسلام ماعمله لوثيروس في النصرانية يعد من دعاة التعصب المضرين فمن يكون النافع في نظر المؤلف المحترم

نحن لانتطال الى ان يكتب المؤلف على رجال الاسلام بدون نقد ولا تمحيص .ولا ان يقيد حريته في الحكم عليهم ولانطلب منه ان يعتقد في دينهم اعتقاد اهله بل نطلب منه ان ينصف التاريخ ويتجرد عن العواطف التي تذهب ببهجة العلم حتى لا يعد من المغالين في مذهبهم فقد قال في القرآن (١٦٢) وايجازه وتفسيره وبلاغته اشياء كان يقول بها متعصبة الاديار في القرون الوسطى وكنا نود ان لايقلدهم في آراء قال المعاصرون من غير المسلمين خلافها وفي كلامه حط من دين يؤمن به نحو ثلثمائة مليون من البشر وتاريخه يظهر بينهم وفي بلادهم

ثم ان دعواه « ١٦٦ » ان الفقه الاسلامي قد تأثر بالفقه القديم السابق ولاسيما بالفقه الروماني وذلك بواسطة الحقوق القانونية للكنائس المسيحية في الشرق هي دعوى ادعاها غيره قبله ولم يأتوا عليها بحجة مقبولة معقولة ولا نرى في دحض هذه الفرية عن فقه الاسلام الا ان نحيله على الرجوع الى المقالات الممتعة التي كتبها في مجلة المقتطف (في المجلدين الـ ٢٩ و ٣٠) صديقه وصديقنا العلامة المرحوم الشيخ سعيد الخوري الشرتوني اللبناني صاحب اقرب الموارد وبذلك يتبين له فساد هذا الزعم وان مصادر الفقه الاسلامي الكتاب والسنة والاجماع والقياس ليس الا .

ومن اغرب الآراء دعواه (١٦٧ م ٢) انه كان من انتشار المذهب الحنفي في الهند ان اهله قاموا في العهد الاخير ينصرون الخليفة العثماني ويعاونونه على توطيد عرشه في الاستانة لانه هو حنفي ايضاً وليس لهذه الظاهرة علاقة بالمذهب بل هي جامعة الدين ليس الا ،وها انّا نرى المسلم الافريقي يتأثر لما يحل باخيه الهندي او الافغاني او الايراني دون النظر إلى مذهب خاص بل الى مجموع اهل الاسلام بل ارتقى هذا الاشمئزاز في الشرق من الغرب ان دخل فيه اهل كل نحلة كما هو الحال في الهند فان براهمتهم ومجوسهم ومسلميهم سواء في كراهية الحكم الغربي والمناداة بالشرق للشرقيين . ومعلوم ان المذاهب الاربعة المشهورة اليوم تذهب من الاسلام والاسلام يبقى اسلاماً

لان المسلمين في القرن الاول والثاني لم يكونوا احنافاً ولاشوافع ولاموالك ولاحنابلة .

والمؤلف يصف كل واحد من المشاهير بصفة فقد وصف صلاح الدين يوسف بن ايوب بالطماع ولكنه وصف الحروب الصليبية بوقائع البسالة ! Héroïques aventures ووصف السيد جمال الدين الافغاني (١٩١ م٢ك) بالمهيج الافغاني وكان الانصاف يقضي عليه ان يصف ملوك الصليبيين بالاوصاف التي تليق بهم ولكنه صورهم كلهم على الغاية من النجدة والعقل كأنهم كلهم كانوا كفريديرك الكبير ولويس الرابع عشر ولو انصف لسمى تلك الحروب بحروب الجنون والطيش كما سماها المنصفون من مؤرخي الصليبيين ولذكر لبعض اولئك الملوك والامراء بعض صفاتهم في نقض العهود والعبث بالمهادنات وقتل الاسرى وغير المحاربين من الشيوخ العجزة والنساء والاطفال

يقول روسو في اميل : ارى فرقاً ضئيلا بين تواريخكم وقصص من يأتي بقصة معروفة ويفصلها بحسب نظره ويزينها بامور يخترعها لهاويأتي باشخاص معدومة وصور موهومة ويجمع كذباً الى كذب لتلذ قراءة ماكتب هذا ان لم يكن القصصي يعمل بفكره الخاص اكثر من ذاك المؤرخ المستعبد لفكر غيره والى هذا اضيف ان الاول يتوخى مقصداً ادبياً صالحاً كان او طالحاً والآخر لايهتم لمثل ذلك اه .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبعد فان المؤرخ اراد ان ينفي المنقبة التي اتاها صلاح الدين وربما عدت في نظر الغربيين من اهم اعماله الصالحة وهي ابقاؤه على الصليبيين يوم فتح القدس فلم يضع السيف فيهم كما قتلوا هم المسلمين يوم استيلائهم عليها وقال ان عمل المسلمين عجز وخوف ونفى الاب لامنس ماثبت من ان الصليبيين يوم فتحوا القدس قتلوا سبعين الفاً من المسلمين (ص ٢١٢ و ٢١٣) فقال ان هذا القول مما سلم به الباحثون بدون روية وادعى ان هذا العدد يوازي في ميزان الحق ما ادعاه مؤرخو العرب من ان الصليبيين قتلوا في بليدة المعرة الحقيرة معرة النعمان مئة الف انسان وقال في باب الاعتذار عن فعلة الصليبيين في القدس ان هذه المدينة عوملت بما تقضي به الاخلاق الحربية لذاك العهد في معاملة المدن التي تؤخذ عنوة .

وماندري كيف يستطيع ان يفند اقوال مؤرخي العرب من ان الصليبيين قتلوا في المعرة مئة الف وهل يقيس يا ترى مايراه اليوم من خراب البلاد بما كانت عليه في

القرن الخامس للهجرة وكانت مدينة المعرة التي يصفها بالبليدة الحقيرة Bicoque من امهات مدن الشام كمنبج وانطاكية وصور وعسقلان كما اكد ياقوت ولا توازي اليوم جميع سكان هذه الخمس مدن على التحقيق ربع أو ثلث سكان احداها منذ ثمانية قرون والناظر إلى خطط مدينة المعرة اليوم يرى ان بُعد مابين ابوابها نحو ساعة على السائر فمدينة هكذا كانت مساحتها لايستعظم ان يتحصن فيهامئة الف من اهلها وارباضها.

ولذا يصحح العقل حكمه على المعرة فلا يحكم عليها بما يراه اليوم من انحطاطها على ان الصليبيين لم يقتلوا هذا العدد الدثر باقواسهم ونشابهم ونفطهم ومنجنيقهم فقط بل قتلوهم صبراً وخنقوا الاطفال الرضع والنساء والعاجزين فاصبحت كأن لم تغن بالامس.

وقد توسع في كلامه على نظام الصليبيين في الشام واقتدار القائمين بالامر فيها حتى صورهم كأنهم دول اوربا الراقية في القرن العشرين. ويذكرنا هذا بقول مونتسكيو ان الأب لوكوانت على ما ايدته الآثار والمصانع ينكر ان البابا رخص بهذا التبديل الكبير ومن حججه انه اذا امر بذلك فيكون عمله ظالماً. قال: ومن العجيب ان نرى مؤرخاً يحكم على ما اتاه الناس بما كان عليهم ان يفعلوه. ولاتقوم للتاريخ على هذه الصورة قائمة في اثبات الحجة اهـ.

ومن الغرائب في هذا التاريخ دعوى المؤلف ان دار العلم بطرابلس (ص ٢١٥ ج١) لم تكن مدرسة جامعة بل مدرسة صغيرة لتلقين العلم الديني وقال: ومن رأينا ان حريق الجامع الاموي بدمشق سنة ١٠٦٩ م على عهد الفاطميين كان اشأم على العلم من اخذ طرابلس. بيد ان المؤرخين مجمعون على ان طرابلس كان فيها دار حكمة على مثال بيت الحكمة في بغداد وقد قال الاثري العلامة فان برشم في مفكراته «ازهرت طرابلس زمن القاضي ابن عمار وقد جعلها مركزاً من مراكز التشيع وانشأ فيها بيت حكمة جهزه بمائة الف مجلد من الكتب وكان فيها على عهده مدرسة جامعة ومدارس دينية وخزائن كتب وربما كانت طرابلس قبيل استيلاء الصليبيين عليها اول بلدة علمية في الشام».

ومن غرائب الاحكام (ص ٢٦٧ ج١) ان اليهود كانوا في الحروب الصليبية ممتعين بحقوق الوطنيين عند الصليبيين بدون ادنى قيد وكانوا مساوين للمسيحيين وشهادتهم امام القضاء تعادل شهادة المسيحي خلافاً لذلك عند المسلمين. وما نظن حضرة المؤلف الا

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

اطلع على ماكتبه ميشو Michaud في تاريخ الصليبيين وما كتبه لافيس ورامبو Lavisse et Rambaud في التاريخ العام وماكتبه ريناخ Reinach في تاريخ الاديان في سوء معاملة الصليبيين للاسرائيليين في اوربا يوم الشروع بالحروب الصليبية وابتداء هذه الفظائع إلى عهد ديوان التفتيش الديني بل إلى آخر ايامه فاذا استحل الصليبيون اذ ذاك قتل اليهود واخذوا اموالهم في الغرب وعاملوهم بكل منكر في الاديان السماوية والقوانين الوضعية كيف يساوونهم بانفسهم ويحمونهم ويحسنون اليهم في الشرق . ونظن هذا من باب الخيال لاتؤيده شواهد التاريخ .

وقد بعد المؤلف عن الحقيقة كثيراً بدعواه (ص ٢٦٩ ج١) ان دور الاكراد الايوبيين كان قليل البهاء Peu brillante période وماندري لعمر الحق اي بهاء اعظم لهذه الدولة من كون صلاح الدين وأسرته يدفعون عادية اعدائهم من الصليبيين على قلة عددهم واسبابهم ثم تروج العلوم والمعارف في ايامهم حتى أنشئت على عهدهم معظم الجوامع والمدارس ودور القرآن والحديث والفقه والطب والهندسة والمستشفيات والزوايا والربط والخانقات في دمشق وحلب والقدس وغيرها من البلاد التي لم يستطع اعداؤهم استصفاءها وكلها او معظمها من حسناتهم وحسنات مواليهم وعتقائهم فقل لي بالله اي دولة تستطيع ان تأتي بمثل هذه الاعمال وتصلح الطرق والجسور وتقيم القلاع وتجر المياه من القاصية تسيلها إلى المدن والقرى وتخفف المكوس والضرائب عن رعاياها وتعاملهم على اختلاف نحلهم بالرفق والعطف ثم يقال لها انها دولة قليلة الزهو خفيفة الحال .

والغالب ان المؤلف سامحه الله اصدر حكمه على هذه البلاد في عهد العرب من اول ساعة وقاس كل ما رأى بعد ذلك على ذاك المقياس فقال عند كلامه (ص ٢٠٧ ج٢) على الاحزاب التي نشأت في الشام لم تلبث ان أصيبت بالخلاف والمناقشات الشخصية وهو الارث الذي اورثها اياه ظلم ثلاثة عشر قرناً اي ان المؤرخ لايعترف بانه قامت للعدل سوق في هذه الديار منذ فتحها الفاتحون من العرب ونسي او تناسى على الاقل عهد الرشيد والمأمون ونور الدين وصلاح الدين . فقبح الاب لامنس الكل بقوله . وكنا نود لو خص في كتابه بضع صفحات بيضاء في عدل الروم والرومان في الشام لنرى

الفرق بين السابقين واللاحقين ، بيد انه صور العرب انهم سالبة كلية في هذا القطر وفي غيره لا مدنية ولا صناعة ولاعدل ولا نظام وهذا مما لا ينطبق مع الوف من الشواهد ويكفي بان نذكره بقول سيديليو في تاريخ العرب : «لايسع احداً ان ينكر ان الخلفاء كانوا الى القرن التاسع للميلاد سادة مملكة عظيمة زاهرة وعجيبة بازدهارها وان ملوك بغداد كانوا يبعثون بالسفارات والهدايا الى الامبراطور شارلمان والى امبراطور الصين وانهم كانوا مثال العظمة الحقيقية بما انشأوه من معاهدهم الرشيدة وما بذلوه من الاخذ بايدي العلوم وان المدارس التي أنشئت في واسع ممالكهم كانت تجدد انارة مصباح المدنية من اقصى الشرق الى اعمدة هركول تاركة في كل مكان مصانع مدهشة من آثار الصناعة العربية ومؤازرة على تجديد دم العالم القديم . »

واصرح من ذلك ما قاله رنان[1] : لم تنج اوربا بتة من العمل العام الذي اثرته اللغة العربية. ومعلوم مقدار الكلمات في كل المطالب التي اخذها الاسبانيون والبرتقاليون من لغة جيرانهم المسلمين ، وفي اللغات الرومانية الاخرى عدد كبير من الكلمات العربية وكلها تعبر الا قليلا عن امور علمية او اعمال صناعية وتؤكد مبلغ انحطاط الشعوب النصرانية في القرون الوسطى عن المسلمين في العلم والصناعة اه

وقد افاض المؤلف في تاريخ لبنان حتى كاد يصبح كتابه تاريخاً لهذا الجبل والكلام على سائر اقاليم الشام جاء بالعرض مع ان الوقائع المهمة في تاريخ البلاد حدثت في دمشق وحلب والقدس وحمص وغيرها من الحواضر اكثر من قرى لبنان مثال ذلك انه ذكر فخر الدين المعني بتطويل لم يبلغ شأو بعض بعضه صلاح الدين بن ايوب فذكر من مزاياه أنه رخص للفرنسيس ببناء خان عظيم في صيدا وللفلورنسيين باقامة قنصل لهم وتوسع في الامتيازات الاجنبية ورخص للمرسلين الكبوشيين ان يبشوا دعوتهم في الشوف وعمر لهم اديارا وقال ان النصارى تنفسوا الصعداء في عهده وبعد ان عدد للامير اللبناني آثراً من هذا القبيل وذكر بُعد نظره وجرأته في اعماله التي ربما عدت في نظره

(١) رنان في كتابه تاريخ اللغات السامية

Ernest Renan : Histoire génerale et systéme comparé des langues sémitiques

تهوراً في الاحايين، قال انه في الحقيقة جاء قبل أوانه وسابق عصره وان هذه الصفات يجب ان تنسى معها شدته في اساليبه ويغضى عن الطرق التي عمد اليها في ادارته - ولعله يقصد بذلك الى ان الغاية تبرر الواسطة - ثم قال ان هذا النقص كان من تربيته ونشأ من المحيط الذي عاش فيه وهو محيط افسدته بضعة قرون مضت في الاستبداد على عهد العناصر التورانية قال : وكان ابوه وجده ضحايا الاستبداد التركي فرأى ان يقابل الشدة بمثلها والرشوة بما يشاكلها ولم يصل مع هذا الى المقام الذي احرزه في هذا الشأن الباشاوات الاتراك (٨٤ و ٨٦ ج ٢) الخ

ونظن ما اتاه الامير المعني من هذا القبيل في تقليد حكام الترك في مشاربهم الادارية ليس مما ينطبق مع قانون الاخلاق الذي هو بالطبع قانون جميع الشرائع فالقاتل اذا قتل والسارق اذا سرق والكاذب اذا كذب مع اعتقادنا بسوء ما ارتكبوا في الحال والمآل لانقلدهم في عملهم المضر واذا فعلنا فنكون مثلهم او اردأ منهم .

ومن ذلك مانقله عن تاريخ الامير حيدر (١٤١ ج ٢) من ان الانكشارية في حلب سنة ١٧٩٧ انقضوا على السادة اولاد الرسول واهلكوا منهم ٢٥٠ شخصاً والحقيقة اشراف البلدة اي اعيانها وكان هناك حزبان حزب الانكشارية وحزبهم وكذلك قوله (٢١٩ ج ٢) ان الامير عمر الذي صلب في الحرب العامة مع المصلوبين من رجال البلاد هو حفيد الامير عبد القادر والحقيقة انه ابنه . وقوله ان عظام الامير عبد القادر اثناء الحرب ذريت في الريح وليس هذا بصحيح بل ان قبره فقط درس ثم اعاده الاتراك الى احسن مما كان عليه . وقوله (١٨٣ ج ٢) ان الامير عبد القادر انقذ في فتنـــة الشام المشؤومة ١٥٠٠ مسيحي فحاول وحده ان ينقذ شرف الاسلام . والحقيقة ان الامير الكبير رحمه الله انقذ اكثر من هذا العدد وشاركه في هذا الغرض الشريف اعيان دمشق وعلماؤها وتجارها وغيرهم وقلما خلا بيت مسلم ذي منزلة اجتماعية من فتح بابه وصدره لحماية مواطنيه المسيحيين وحريمهم واولادهم على ما يأمرهم بذلك دينهم .

ومن ضعف الاستنتاج في تاريخـــه استشهاده بيتي حميدة ابنة النعمان بن بشير الانصارية في تقزز عرب الشام من عرب الحجاز وهما :

كهول دمشق وشبانها احب الينا من الجاليه

صنان لهم كصنان التيو س اعيا على المسك والغاليه

فقول شاعرة ان صحت نسبة البيتين اليها لاتكون قاعدة كلية في فك عرى الارتباط بين العرب كما ان قول تلك الشاعرة التي قالت :

ولبس عباءة وتقر عيني احب اليَّ من لبس الشفوف

الى آخر الابيات لايصح قاعدة في ميل العرب كلهم لسكنى البادية والا فكيف غصت الشام ومصر والعراق وفارس والاندلس وشمالي افريقية بالعرب فعربوا تلك البلاد ودانت بدينهم مع طول الزمن وتخلت عن مشخصاتها السابقة راضية مختارة .

ولم يذكر المؤلف في المدارس التي نهضت بالبلاد (ص ٢٠١ ج ٢) الا مدارس اليسوعيين ومدرسة الدومنيكيين العالية في القدس التي تدرس الآثار التوراتية واللغات الشرقية والانصاف يقضي بان تذكر المدارس الاخرى التي كان لها شأن مهم في انهاض البلاد مثل المدارس الوطنية في بيروت ولبنان ودمشق وغيرها ومدارس الاميركان ولا سيما الجامعة الاميركية التي سبقت غيرها في تهذيب الناشئة وكان من أفضال أمثال الدكتور فانديك وورتبات وغيرهما على العرب والعربية مالاينسى وتخرج بها وباساتذة الجامعة مئات من رجال سورية فقبضوا على أزمة المالية والتجارة وكان لهم شأن في الحركة الفكرية في الشام ومصر واميركا . وان من واجب المؤرخ أن يتجرد عن عواطفه الخاصة فاما ان يذكر المحسنين ايا كانوا أو يتخلى عنهم كلهم . ولعمري ان دمشق مثلا تستحق ان تذكر بكلمة في نهضتها العلمية الأخيرة خصوصاً وهي قلب الشام وعاصمته منذ قرون متطاولة ونهضتها قامت بايدي ابنائها أنفسهم لم تستند إلى قوة خارجية ومعاضدة أجنبية .

هذا بعض مارأيت ملاحظته على تاريخ العلامة اليسوعي مجتزئاً به مخافة التطويل وذلك حرصاً على التاريخ الصحيح غير ناظر فيما كتبت لمقصد سواه . واعوذني من هوى الغض من مكانته ومن حب الجدل في غير محله فان وجد فيه حقاً وتقبله بقبول حسن فهذا ماتوخاه وان رأى غير ذلك فليطوه على غره إذ الخير أردت ولا عصمة الا لله

محمد كرد علي

٤

آراء الاعضاء

كتاب تاريخ (حكماء الاسلام) للبيهقي
و (صوان الحكمة) للسجزي

الضنّ بالعلم غير محمود ولا مبارك فيه . فلذلك وجب عليّ ان أذيل ذيلاً على الرسالة المهمة في كتاب (تاريخ حكماء الاسلام) التي نشرها الشيخ « المغربي » في الجزء السابع من المجلد الثاني من هذه المجلة : فانه قال فيها ص ١٩٤ : انه مما يلاحظ على المرحوم جورجي أفندي زيدان قوله ان مؤلف كتاب تاريخ حكماء الاسلام جعل كتابه ذيلاً لصوان الحكمة مع أن المؤلف نفسه يقول : انه حذا فيه حذوه ونسج على منواله . فلعل هذا السهو هو من المستر (بركلمن) الذي اعتمد عليه جورجي أفندي لا من جورجي أفندي نفسه . ولكني اخاف ان يكون الشيخ المحترم نسي انه واجب على من شاء نقد مصنف ان يبحث عن أصل مقالاته . فلو فعل ذلك السيد المغربي لوجد ان أصل تسميتي تاريخ حكماء الاسلام بذيل (Nachtrag) لصوان الحكمة هو وصف النسخة البرلينية للشيخ المرحوم (آلورد) العلامة المدقق في فهرست النسخ العربية الموجودة في الكتبخانة البرلينية عدد (١٠٠٥٣) في المجلد التاسع . فان هذا هو الذي سمى أولاً كتاب البيهقي بذيل (Nachtrag) لصوان الحكمة . وقال ان الشيخ البيهقي جمع في كتابه تراجم الحكماء الذين لم يذكرهم السجزي في كتابه ومن فوائدهم ما قرب غروب نجومه في مغارب النسيان . ولكنه لم يذكر العلماء الذين ترجمهم السجزي على الكفاية . فلذلك كان كتابه حرياً حقيقة ان يسمى بـ (Nachtrag) لصوان الحكمة فان كان المرحوم جورجي أفندي ترجم ذلك بذيل فليس هذا بسهو منه . وان كان الشيخ البيهقي نفسه لم يسم كتابه بذيل صوان الحكمة .

« بروكلمن »

آراء وافكار

التعريب

قال العلامة الدكتور يعقوب صروف في كتابه المنشور في الجزء السابق من هذه المجلة « انه غير راض عن اهتمام بعض اعضاء المجمع بترجمة الالفاظ التي لامرادف لها عندنا لأنه لايرى موجباً لذلك ولا فائدة منه للغة الخ »

فمع اعترافنا بفضل صديقنا المشار اليه وثنائنا على وفرة اجتهاده في خدمة العلم والادب سنين عديدة واعجابنا بسعة معارفه العصرية وسداد آرائه العلمية ومعرفتنا باخلاص قصده لابدّ لنا من استئذانه في بيان رأينا في هذا الشأن فنقول :

لا مشاحة في انه ليس في اللغة العربية مرادفات للالفاظ الاعجمية الدالة على الاشياء الحديثة كالمكتشفات الطبيعية والمخترعات العلمية والمصنوعات الغربية كأنواع الملبس والمفرش وأدوات الزينة والترف وآلات الصناعة والزراعة وسائر المستحدثات الكثيرة التي نقرأ عنها في الكتب والمجلات المختلفة ونشاهدها في أسواقنا وبيوتنا ولانجد لشيء منها اسماً عربياً لأنها لم تخطر على بال أحد من واضعي لغتنا إذ لم يتنبأوا بما سيحدث بعدهم من المسميات حتى يضعوا لها أسماء قبل وجودها .

ARCHIVE

فان اتبعنا رأي الدكتور صروف واستعملنا كل كلمة جديدة لامرادف لها عندنا بلفظها الموضوع لها في لسان واضعها أصبحت لغتنا خليطاً من العربية واللغات الغربية فتشوشت محاسنها البديعة وانحطت منزلتها الرفيعة . وإذا دام النقل اليها بهذه الطريقة ازدادت فيها الكلمات الأعجمية بازدياد المكتشفات العلمية والمصطلحات الفنية والتجارية والصناعية والسياسية وغيرها على توالي الأيام والسنين حتى تغلبت عليها وكان ذلك مدعاة إلى سقوطها ولحاقها بلغات الغابرين فلا يبقى منها إلا ما حفظته الخزائن من كتب الاولين .

واي أديب يريد ان تكون لغته كلغة أهل مالطة ؟ بل أي عربي يرضى بما ينشأ عنه

موت لغته الذي يترتب عليه موت أمته لأنه لاحياة لأمة إلا بحياة لغتها كما يشهد التاريخ بذلك .

فان قيل ان اللغة العربية قاصرة عن مجاراة اللغات العصرية في خدمة العلم الحديث ولذلك لابدّ من نقل الالفاظ الاعجمية اليها بلا ترجمة ولاتغيير قلنا ان الذين ينسبون القصور إلى اللغة لم يحيطوا بما فيها من فرائد الكلم ولا طرق الاشتقاق والمجاز ولو أمكنهم استقراء كلام العرب والوقوف على ما كان لهم من سعة التصرف في ابراز المعاني على اختلاف مناحيها لعلموا ان القصور من جهتهم لامن جهة اللغة . ولا نعني بذلك ان في اللغة لفظاً موضوعاً لكل معنى جديد لاننا صرحنا بخلوها من الألفاظ الدالة على المعاني الحديثة التي لم تخطر على بال الواضعين الأولين وإنما نعني ان في أوضاعها مايتسع لان يشتق منه الفاظ لما شئنا من المعاني لأنها قابلة الاتساع إلى مايفي بالمطالب العصرية وإذا جاز للغربيين ان يضعوا اسماءً جديدةً لمسميات لم تكن في عهد اسلافهم ويحيلوا الكلمات التي يقتبسونها من اليونانية أو اللاتينية إلى صيَغ تناسب قواعد لغاتهم مع اشتقاقها من أصل واحد وتقاربها في الألفاظ والمعاني فلماذا لايجوز لنا ان نحذو حذوهم فنضع اسماءً عربيةً لتلك المسميات أو نحيلها إلى صيغ تناسب قواعد لغتنا مع ما بينها وبين تلك اللغات من شدة التباين ومع ماهي عليه من كثرة الاشتقاقات وقبول الاتساع بطرق عديدة . وكيف يصح القول « ان ترجمة الألفاظ الافرنجية التي لا مرادف لها عندنا لاموجب لها ولا فائدة منها للغة »

وأي موجب أشد من تحرير الألسنة من ربقة العجمة وأي فائدة اعظم من المحافظة على حياة اللغة وتوسيع نطاقها وتبرئتها مما ترمى به من القصور

وبعد . فلو كانت ترجمة الألفاظ الأعجمية غير مفيدة للغة لما كان الدكتور صروف نفسه يعنى بها والا فلماذا يستعمل في كتاباته الألفاظ الجديدة كالاستهواء ومناجاة الأرواح والعلاج بالأشعة بدلاً من الهبنوتزم والسبرتزم والرديوثرابيا .

لاجرم ان ذوقه العربي مجّ هذه الألفاظ الأعجمية ففتش عن ألفاظ عربية مأنوسة تؤدي معانيها بدون « مط » ، فوجدها وآثرها على الافرنجية . وهذا يدل على اننا لسنا في حاجة إلى الكلمات الحوشية أو الوحشية كالحيزبون والدردبيس لكثرة مافي

اللغة من الكلمات الفصيحة والمترادفات المأنوسة. على اننا إذا اضطررنا إلى كلمة حوشية قديمة لعدم وجود كلمة غيرها تؤدي معناها اخترناها على الاعجمية لأنها ذات صفة ومقاطع عربية موافقة لذوقنا وإذا تكرر استعمالها أصبحت مألوفة كغيرها.

نحن نعترف بأنه ليس في الامكان ان نجد مرادفات لكل الكلمات الجديدة، ولا سيما أسماء الجواهر وبما أشبهها من أجناس المصنوعات التي لا يتأتى نقلها على الغالب الا محكية بلفظها ولكن ما لا يدرك كله لا يترك اقله وفي ما وضعه السلف في العصر العباسي وغيره من الالفاظ العلمية وما وضعه المعاصرون وشاع استعماله كالمنطاد والدراجة والمجهر والمرقب والمجسّ للبالون والبسكليت والمكرسكوب والتلسكوب والغرانيت حجة قاطعة على امكان وضع ألفاظ أخرى علمية تفي ببعض الحاجات العصرية.

فالخلل الذي يرى في لغتنا اليوم لا يستحيل سده على تراخي الأيام اذا بذل العلماء جهدهم في خوض بحارها وكشف أسرارها واتبعوا سبيل المتقدمين في وضع ألفاظ عربية للمستحدثات أو سبك ألفاظها في قالب عربي لا تتشوه به هيئة اللغة، أما القول « بان اللغة لا تقوم بما فيها من الاسماء بل بما فيها من الحروف والتصاريف » ففيه نظر لأن المعروف عندنا انه لا يتم قوامها بغير الاسماء ولا يصح قياس العربية الكثيرة المواد والاشتقاقات على التركية التي لقلة مادتها وضيق نطاقها كثرت فيها الألفاظ الدخيلة فأصبحت خليطاً من لغات شتى حتى يسوغ لنا ان نقول انها لم تبق تركية الا بالاسم وقد شعر بعض أنصارها بذلك فحاولوا أن ينبذوا منها الألفاظ العربية وغيرها ويستغنوا عنها بالالفاظ التركية القديمة رغبةً في احيائها ومحافظةً على كيانها ولكنهم لم يفلحوا لتغلب الكلمات الدخيلة وشيوعها وشدة الافتقار إليها.

فليس من الصواب أن يتساهل في استعمال الالفاظ الاعجمية إلى حد يتنكر به وجه العربية لئلا يصيبها ما أصاب التركية. وليس « الاحسن أن يترك التعريب في كل علم إلى الذين يعلمونه ويعملون به » لأن كثيرين منهم لا يعرفون أصول اللغة ولا اشتقاقاتها ولا أساليب الفصاحة فيها لتلقيهم العلوم باللغات الاجنبية وعدم عنايتهم بلغتهم فكيف يمكنهم أن يحسنوا الترجمة ويضعوا الألفاظ المناسبة للمعاني التي ينقلونها. والذي نراه ولعلنا مصيبون أن أرباب العلوم العصرية لا يستغنون في الترجمة عن معاونة

علماء اللغة ليكونوا على بيّنة من صحة الألفاظ التي يستعملونها كما ان علماء اللغة لا يستغنون في وضع الألفاظ الجديدة في كل علم عن معاونة أربابه ليكونوا على بينة من تحقيق المعاني التي يضعون لها تلك الألفاظ وكل ذلك قد أثبته لنا الاختبار كما أيده التاريخ .

ان الخليفة المأمون حين عرّب كتب اليونان والفرس والسريان والهنود في الطب والحكمة والعلوم الطبيعية والرياضية وغيرها استدعى قوماً من نساطرة العجم ليتولوا لهنقلها لأنه لم يجد في علماء أمته من يستطيع استخراجها إلى العربية لعدم معرفتهم بلغات اولئك الاقوام ولكنه لم يقتصر على ذلك بل جعل للمعربين يوماً في الاسبوع يجتمعون فيه لتعرض أعمالهم على علماء اللغة فما وجدوه منها سديداً أقروه والا صححوه .

وكفى بذلك برهاناً على أن أرباب العلوم لا يستطيعون وحدهم الترجمة الصحيحة بدون معاونة علماء اللغة إلا إذا كانوا هم أنفسهم عالمين بأوضاع اللغة واشتقاقاتها وطرق المجاز فيها وهذا نادر .

جملة القول ان الكاتب أو المعرب لا يمكنه وحده أن يجد مرادفات للأسماء الأعجمية الكثيرة التي يضطر إلى ترجمتها لما في ذلك من الصعوبة وبعد المنال ولو زاول الترجمة السنين الطوال . ولا يسعه نقلها إلى لغته بصورها لأنها تباين أوضاعها في المقاطع والأوزان فتؤدي إلى تشويه وجهها وافساد محاسنها كما سبقت الاشارة إليه .

ولا يحسن أن يكون كل مترجم حراً في وضع الألفاظ التي يختارها لئلا تتسع المذاهب وتتعدد الآراء وتعم الفوضى في التعريب فلم يبق إلا أن يوكل هذا العمل الصعب إلى جماعة من أدباء اللغة المستبحرين فيها الواقفين على أسرارها فيتعاونون على البحث في ما تمس الحاجة إليه من الأوضاع المحدثة ويواصلون الجد في تقليب صحف اللغة وتتبع موادها ليمكنهم وضع الألفاظ المناسبة لتلك المستحدثات بعد تحقيق معانيها بمعاونة أرباب العلوم والفنون العصرية . ولذلك أنشىء بعض المجامع اللغوية في مصر وغيرها لتتولى سد هذا النقص العظيم في اللغة وتكون مرجعاً للكتاب وأهل العلم في كل ما يعرض لهم من مسائلها ومشكلاتها إلا أنها لم تثبت إلا قليلاً لأسباب لا حاجة إلى ذكرها . ولما تألف مجمعنا في دمشق وجد أن الحاجة إلى التعريب تشتد على توالي

الأيام وان الواجب يقضي عليه بتدارك ما فات فاهتم بهذا الأمر وشرع في سد جزء صغير من هذه الثلمة متشبهاً بمن سبقه من العلماء وان لم يكن مثلهم آملاً أن يفلح في مسعاه .

ولم يكل العمل إلى أحد الأعضاء بل جعله مشتركاً بين العاملين منهم وأعضاء الشرف جميعاً وفيهم من لهم معرفة تامة باللغات القديمة والحديثة ومن اتقنوا العلوم العصرية ومن عنوا بالترجمة ومع ذلك لم يكتف بآرائهم بل رغب إلى العلماء والأدباء في كل الأقطار العربية أن يؤازروه بأفكارهم السديدة ومباحثهم المفيدة ليكون صنيعه نافعاً مقبولاً وهو لا يدّعي الاصابة بكل ما يضعه من الألفاظ أو يعربه من الكلمات أو يصححه من الأغلاط لأنه عرضة للخطا والخطأ من لوازم الانسانية . ولا يطمع في انجاز هذا العمل العظيم وحده في زمن قصير لأنه يعلم ان دون ذلك خرط القتاد وانه من الأعمال التي لا ينجزها إلا المدد العديد في الزمن المديد وانما قصاراه أن يضع حجراً صغيراً في الأساس ويرجو من العلماء المعاصرين والذين يأتون بعدهم أن يواصلوا السعي لاتمام البناء ولو في المستقبل البعيد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذه كلمتنا التي وعدنا بها في الجزء السابق من هذه المجلة بسطناها للقراء الكرام ليطلعوا على رأي المجمع وطريقته في التعريب .

ومأمولنا في أصدقائنا الأفاضل أن يشجعونا على متابعة العمل ويتحفونا بما يكون عوناً لنا على تحقيق الأمل والله المسؤول ان يسدد خطواتنا إلى سبيل الصواب ويؤتينا الحكمة وفصل الخطاب انه الكريم الوهاب .

انيس سلوم

مطبوعات حديثة

كتاب التكملة
لكتاب الصلة

طبع بالمطبعة الشرقية في الجزائر ١٣٣٨ ـ ١٩٢٠ ص ٤٦٢

طبع كتاب الصلة لابن بشكوال سنة ١٨٨٢ طبعه في مجريط المستشرق الاسباني كودرا في جملة الكتب التي طبعها في تراجم الاندلسيين وسماها المكتبة الاندلسية العربية . وهذه التكملة لابي عبد الله محمد القضاعي البلنسي المعروف بابن الابار وهو القسم الأول المفقود من طبعة الشيخ فداره زيدين في مجريط سنة ١٨٨٦ ـ ١٨٨٩ وقد طبعه الشيخ ثنزالش بلنسية في مجريط سنة ١٩١٥ عني بطبعه وتعليق حواشيه الشيخان العالمان الفريد بل مدير مدرسة تلمسان والشيخ محمد بن أبي شنب المدرس بمدرسة الجزائر ووضعا له فهرسة اسماء الرجال والنساء واخرى في اسماء الأماكن وثالثة في اسماء الكتب ورابعة في الأبيات التي ورد ذكرها في هذا الكتاب . وفي هذا الجزء ٦٥٢ ترجمة مختصرة على الأغلب لعالم اندلسي أو مغربي أو مشرقي وأكثرهم من رواة الأثر ومن أجمل مافيه التعليق على اسماء البلدان كما كانت على عهد العرب وايراد مايقابلها اليوم في اللغة البرتقالية أو الاسبانية أو بالافرنجية مما دل على علو كعب الناشرين في الأدب العربي واستحقا به شكر العلم وأهله على عنايتها باحياء آثار السلف على هذه الصورة الجميلة من الاتقان والتحقيق

مختصر في العربية المراكشية

تأليف كودوفري ديمومبين ولويس مرسيه بباريز صفحة ٢٤٢

جمع هذان المؤلفان بعض معلومات عن بلاد مراكش وعن لغتها العربيـــة واللغة البربرية وذكرا بعض محاورات تفيد الداخل حديثاً إلى تلك البلاد ولا سيما اللهجة البربرية لغة السواد الأعظم وهناك معلومات عن تاريخ البلاد وسكانها وجغرافيتها كلها باسلوب عملي وهاك اسم الكتاب بالافرنسية واسم المؤلفين الفاضلين

Gaudefroy - Demombynes et L. Mercier : Manuel d'Arabe Marocain, Paris, Librairie Orientale et Américaine,

(م . ك)